

دلائل الإعجاز

فصل في تحليل شاهد مُتَميز للحذف عند البحري .

قد بان الآن واتَّضح لمن نظَرَ نظرَ المتنبِّتِ الحَـمِيفِ الرَّاعِبِ في اقتداحِ زنادِ العقل والازديادِ من الفضلِ ومَن شأنُهُ التَّـسَوُّقُ إلى أن يعرفَ الأشياءَ على حَقائِقِها ويتغلغلَ إلى دقائقها ويَـرَبِّأَ بنفسِه عن مرتبةِ المقلِّدِ الذي يَـجـري معَ الظاهرِ . ولا يَـعُدُّو الذي يَـقَعُ في أولِ الخاطرِ أنَّ الذي قُلتُ في شأنِ الحذفِ وفي تفخيمِ أمرِه والتَّـنويهِ بذكرِه وأن مأخذَه مأخذُ السَّـحَرِ ويَـهـرُّ الفِـكـرُ كالذي قُلتُ : وهذا فَنٌّ آخِرٌ من معانيه عَجيبٌ وأنا ذاكرُهُ لك : قال البحري في قصيدته التي أولها - الطويل - :

(أَعن سَفَهَ يَومَ الأَبـيـرِيقِ أم حُلَامِ ...) .

وهو يذكر محاماة الممدوحِ عليه وصيانته له ودفعه نوائب الزمان عنه :

(وَكَمَ ذُودَتَ عَنِّي مِـنْ تَحَامُلِ حَادِثِ ... وَسَوْرَةَ أَيَّامِ حَزْزَنِ إِلَى العَظْمِ) .

الأصلُ لا محالةَ : حَزْزَنِ اللَّحْمِ إِلَى العَظْمِ إلاَّ أنَّ في مجيئه به محذوفاً وإسقاطه له مِـنْ الذُّطْقِ وتركه في الضَّميرِ مزيةً عجيبةً وفائدة جليلة . وذاك أن من حَذَّقَ الشاعرَ أن يوقِعَ المعنى في نفس السَّماعِ إيقاعاً يمنعُه به من أن يَتَوَهَّـمَ في بدءِ الأمرِ شيئاً غيرَ المُرادِ ثم يندُـصِرُ إلى المرادِ . ومعلومٌ أنه لو أظهرَ المفعولَ فقال وسورةُ أَيَّامِ حَزْزَنِ اللَّحْمِ إِلَى العَظْمِ